حياة أعظم الرسل

مُحمّدٌ يأمُرُ أصحَابَهُ بالهجرة إلى الحَبَشة

مُحَمَّدٌ يأمُرُ أَصحَابَهُ بالهجرةِ إلى الحَبَشَة

اِشتَدَّ إِيذَاءُ الْكُفَّارِ وَتَعذِيبُهُمُ لِلْمُسلِمِينَ ؛ لِيَتْرُكُوا الإسلامَ ، وَيتركُوا مُحمدًا ، وَلٰكِنَّهُم صَبَرُوا ، وَتَمَسَّكُوا بِدِينِهِم ، وَبِالرَّسُولِ ، فَجَمَعَهُمُ الْمُصطَفَى ، وَنَصَحَ لَهُم بِالْهِجرَةِ ، وَقَالَ لَهُم : تَفَرَّقُوا فِى الأَرضِ ؛ فَإِنَّ اللهَ سَيَجمَعُكُم . فَسَأَلَ الْمُسلِمُونَ مُحمدًا عَنِ الْجِهَةِ الَّتِى يُهَاجِرُونَ إِلَيهَا . فَأَخبَرَهُم بِأَن يَعبُرُوا الْبَحرَ (الْأَحمَرَ) وَيَذهَبُوا إِلَى الْحَبَشَةِ ؛ لِأَنَّ

مَلِكَهَا — وَهُوَ النَّجَاشِيُّ — عَادِلٌ جِدًّا . وَنَصَحَ لَهُم بِأَن يَكتُمُوا الْأَمرَ ، وَيَجعَلوهُ سِرًّا بَيْنَهُم ؛ خَوفًا مِن أَن يَمنَعَهُمُ الْكُفَّارُ مِن تَرْكِ مَكَّةَ. وَفِي تِلكَ اللَّيلَةِ خَرَجَ الْمُسلِمُونَ مِن عِندِ الرَّسُولِ ، وَأَخَذُوا يَستَعِدُّونَ لِلْهِجرَةِ .

لَقَد نَصَحَ مُحمدٌ لِأَصحَابِهِ بِالْهِجرَةِ مِن مَكَّةَ ؛ لِأَنَّ تَعذِيبَهُم بَلَغَ أَقصَى حَدٍّ ، وَلَم يَستَطِعْ أَن يَحمِيَهُم أَو يُبعِدَ الظُّلْمَ عَنهُم . وَبِهٰذِهِ النَّصِيحَةِ عَلَّمَنَا الرَّسُولُ دَرْسًا نَافِعًا ثَمِينًا ، وَهُوَ أَن نُحَافِظَ عَلَى مَبَادِئِنَا ، وَمُثُلِنَا

الْعَالِيَةِ ، وَنُحَافِظَ عَلَى حَيَاتِنَا ، بِأَن نُهَاجِرَ ،
وَنَذهَبَ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ ، نَستَطِيعُ أَن نَتَمَتَّعَ فِيهِ
بِالْحُرِّيَّةِ الدِّينِيَّةِ ، وَنَتَدَيَّنَ بِالدِّينِ الَّذِى نُؤْمِنُ
بِهِ . وَفِى لَيلَةٍ مُظلِمَةٍ مِن سَنَةِ ٦١٥ مِيلاَدِيَّةِ
كَانَت هُنَاكَ حَرَكَةٌ فِى بَعضِ بُيُوتِ
الْمُسلِمِينَ بِمَكَّةَ ، فَأَتْبَاعُ الرَّسُولِ يَستَعِدُّونَ
لِلرَّحِيلِ إِلَى الْحَبَشَةِ . وَقَد وَدَّعَهُمُ
الْمُسلِمُونَ الْبَاقُونَ بِمَكَّةَ ، وَرَجَوْا لَهُم رِحلَةً
آمِنَةً . وَقَد سَهَّلَ اللهُ لَهُم الرِّحلَةَ ، فَعِندَ
وُصُولِهِم إِلَى الْيَمَنِ وَجَدُوا سَفِينَةً مُستَعِدَّةً
لِلذَّهَابِ إِلَى الْحَبَشَةِ ، فَرَكِبُوهَا وَحَمِدُوا

اللهَ ؛ لِأَنَّ قُرَيشًا خَرَجَتْ وَرَاءَهُم ؛ لِتَمنَعَهُمْ مِنَ السَّفَرِ ، وَلٰكِنَّهُم لَم يَلْحَقُوا أَحَدًا مِنهُم .

وَأَوَّلُ مَن هَاجَرَ عُثمَانُ بْنُ عَفَّانَ وَزَوجَتُهُ رُقَيَّةُ بِنتُ رَسُولِ اللهِ ، وَأَبُو مُوسَى الْأَشعَرِىُّ ، وَجَعفَرُ بْنُ أَبِى طَالِبٍ وَغَيْرُهُم .

وَحِينَمَا وَصَلُوا إِلَى الْحَبَشَةِ وَجَدُوا كُلَّ تَرحِيبٍ بِهِم . وَكَانَ عِندَهُمُ الْحُرِّيَّةُ الْكَامِلَةُ فِى إِقَامَةِ عِبَادَاتِهِمُ الدِّينِيَّةِ ، وَلَم يُؤذِهِم أَحَدٌ بِسَبَبِ عِبَادَتِهِم لِلّٰهِ ، وَلَم يسمَعُوا مَا يَكرَهُونَهُ ، وَلَم يَجِدُوا مَا يُكَدِّرُهُم مِمَّا

وَجَدُوهُ فِى مَكَّةَ .

وَإِنَّ الهِجْرَةَ مِنَ الوَطَنِ الَّذِى تَرَبَّى فِيهِ الإنسَانُ — لَيسَتْ سَهلَةً ؛ فَوَطَنُ الإِنسَانِ عَزِيزٌ جِدًّا عَلَيهِ . وَلَيْسَ مِنَ السَّهلِ تَرْكُهُ ، وَالْهِجْرَةُ مِنهُ ، وَالْمعيشَةُ فِى بِلادِ الْغُرْبَةِ .

وَلِهٰذَا أَحَسَّ بَعضُ مَن هَاجَرُوا إِلَى الْحَبَشَةِ فِى الْمَرَّةِ الأُولَى بِالشَّوْقِ والْحَنِينِ إِلَى الْوَطَنِ الْعَزِيزِ . وَعَزَمُوا عَلَى الرُّجُوعِ إِلَى مَكَّةَ ، فَرَجَعُوا إِلَيهَا ، فَوَجَدُوا الْحَيَاةَ أَسْوَأَ مِمَّا كَانَتْ ، وَرَأَوُا الْمُسلِمِينَ يُعَذَّبُونَ تَعذِيبًا شَدِيدًا ، وَيُعَامَلون مُعَامَلَةً كُلُّهَا ظُلْمٌ

وَوَحْشِيَّةٍ .

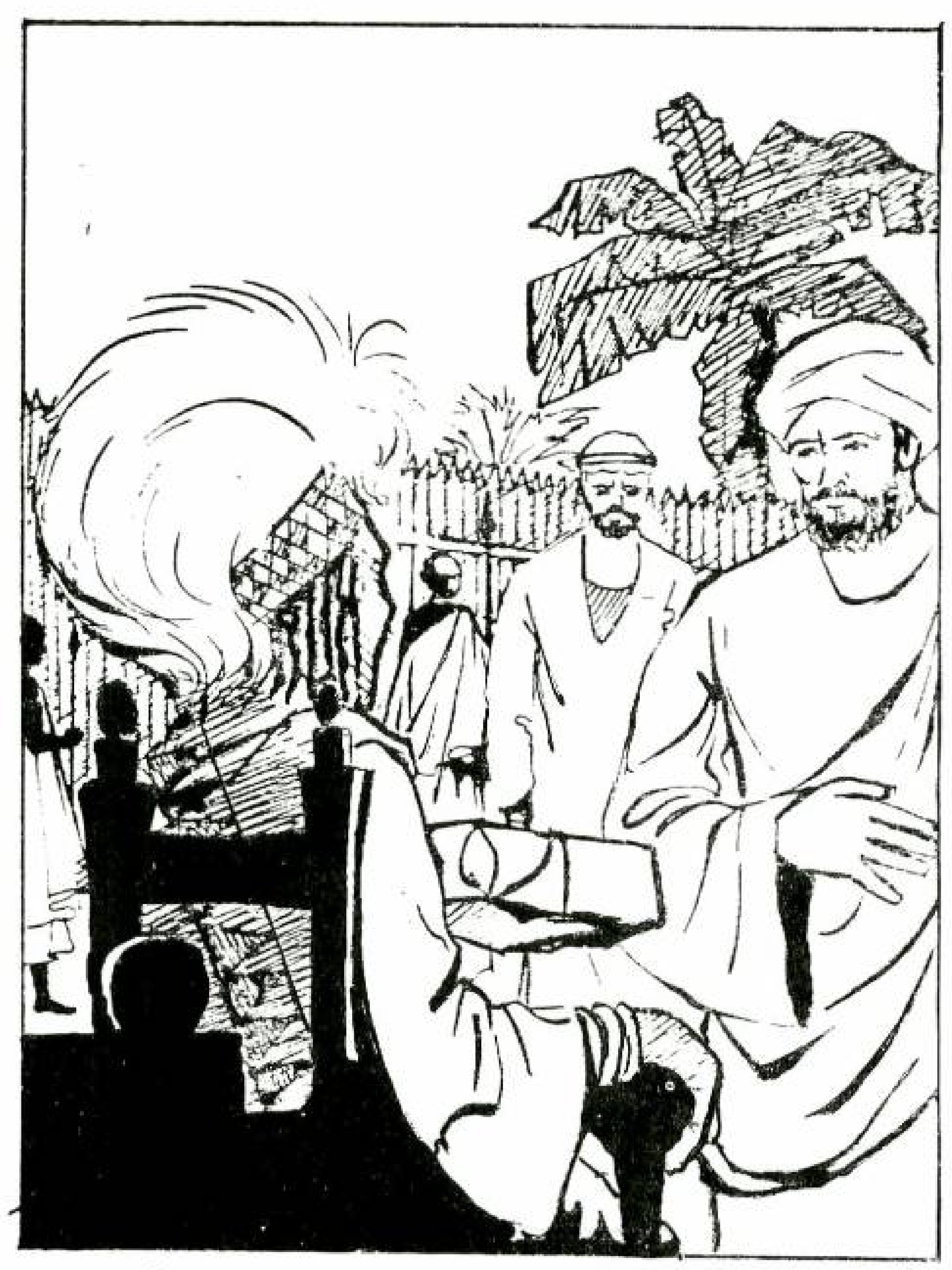
فَهَاجَرَ الْمُسلِمُونَ مَرَّةً ثَانِيَةً إِلَى الْحَبَشَةِ ، وَنَصَحَ لَهُمُ الرَّسُولُ بِأَن يُسَاعِدَ بَعضُهُم بَعضًا عَلَى الاغْتِرابِ ، فَهَاجَرَ مُعظَمُهُم ، وَكَانُوا ثَلاثَةً وَثَمانِينَ رَجُلاً ، وَثَمانِيَ عَشْرَةَ امْرَأَةً فِي تِلْكَ الْمَرَّةِ . وَسَمِعَ الْأَعدَاءُ مِن قُرَيشٍ بِأَنَّ كَثِيرِينَ مِنَ الْمُسلِمِينَ مُهَاجِرُونَ مِن مَكَّةَ ، فَتَبِعُوهُم وَطَارَدُوهُم لِمَنْعِهِم مِنَ السَّفَرِ ، وَلٰكِن لِحُسنِ الْحَظِّ لَم يَلْحَقُوهُم . فَقَد رَكِبَ الْمُهَاجِرُونَ السَّفِينَةَ قَبلَ أَن يَصِلُوا إِلَيهِم بِمَعُونَةِ اللهِ وَتَوفِيقِهِ .

تَضَايَقَ الْكُفَّارُ مِن كَثْرَةِ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى الْحَبَشَةِ مِنَ الْمُسلِمِينَ ؛ لِأَنَّ مَعَهُم شَخْصِيَّاتٍ عَظِيمَةً كَجَعْفَرِ بْنِ أَبِى طَالِبٍ ، وَعُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ . رَضِىَ اللهُ عَنهُمَا . فَلَم يَنتَظِرِ الْكُفَّارُ طَوِيلاً ، وَأَرسَلُوا إِلَى النَّجَاشِىِّ مَلِكِ الْحَبَشَةِ سَفِيرَيْنِ مِن أَحسَنِ رِجَالِهِم ، وَمَعَهُمَا بَعضُ الْهَدَايَا إِلَيهِ ، لِيَرُدَّ الْمُسلِمِين وَيَطرُدَهُم ، وَيُسَلِّمَهُم إِلَيهِمَا . وَكَانَت هُنَاكَ مُعَاهَدَةٌ تِجَارِيَّةٌ بَينَ مَكَّةَ وَالْحَبَشَةِ .

وَصَلَ سَفِيرَا مَكَّةَ ، وَقَابَلاَ مَلِكَ الْحَبَشَةِ ، وَقَدَّمَا الْهَدَايَا لَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ

أَحَدُهُمَا :

أَيُّهَا الْمَلِكُ ، لَقَد حَضَرَ إِلَى بِلادِكُم عَدَدٌ كَبِيرٌ مِن أَهلِ مَكَّةَ ، وَتَرَكُوا دِينَنَا ، وَلَم يَعتَنِقُوا دِينَكُم . وَاتَّبَعُوا دِينًا جَدِيدًا لَم نَسمَعْ بِهِ مِن قَبلُ . وَلَم تَعرِفْ أَنتَ عَنهُ شَيئًا . وَقَد أَرسَلَنَا أَهلُ مَكةَ إِلَيكَ ، لِنَرْجُوكَ إِعَادَةَ هٰؤُلاَءِ اللاَّجِئِينَ إِلَينَا ؛ لِأَنَّنَا نَعرِفُ كَيفَ نُعَاقِبُهُم ، وَنُعطِيهِم الدَّرْسَ الَّذِى يَستَحِقُّونَهُ . وَقَد تَسَلَّمَ مُستَشَارُو الْمَلِكِ بَعضَ الْهَدَايَا مِنَ السَّفِيرَينِ ، فَنَصَحُوا لِلْمَلِكِ بِطَردِ الْمُهَاجِرِينَ ، وَإِعَادَتِهِم فِى



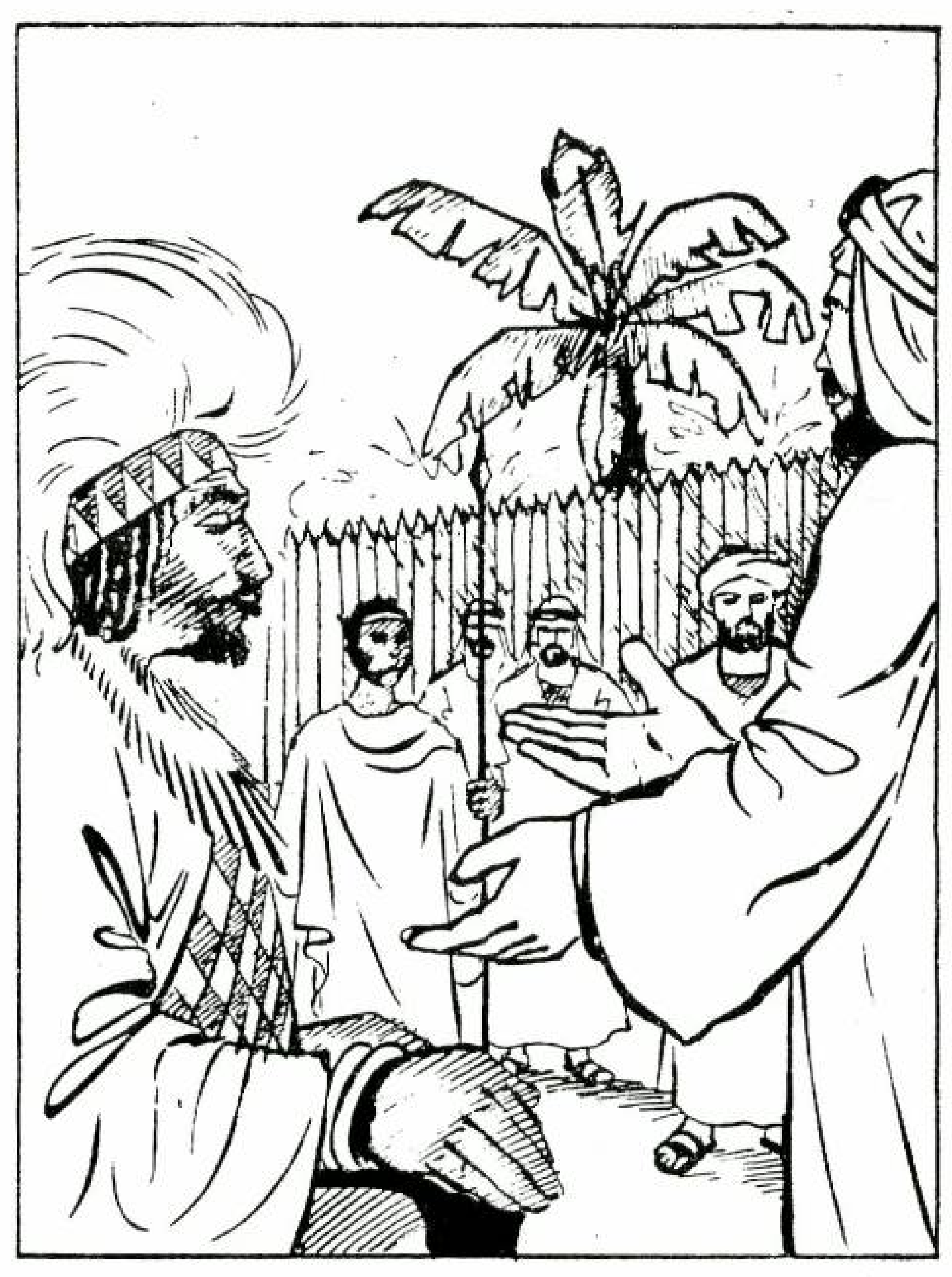
اثنانِ مِنَ الكُفّارِ عِندَ مَلِكِ الحَبَشَةِ لِيَرُدَّ المُهاجِرينَ إلى مَكَّةَ

الْحَالِ إِلَى مَكَّةَ . وَلٰكِنَّ مَلِكَ الْحَبَشَةِ كَانَ عَادِلاً كَمَا قَالَ الرَّسُولُ ، فَأَمَرَ بِإِحضَارِ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُسلِمِينَ أَمَامَهُ ؛ لِيَسمَعَ آرَاءَهُم وَقِصَّتَهُم ، وَلَم يُوَافِقْ عَلَى رَأْيِ مُستَشَارِيهِ ، وَغَضِبَ وَقَالَ : كَيفَ أَطرُدُهُم وَقد نَزَلُوا بِبِلَادِى ، وَاختَارُونِى وَفَضَّلُونِى عَلَى غَيْرِى ؟

حَضَرَ المُسلِمُونَ الْمُهاجِرُونَ أَمَامَ الْمَلِكِ ، وَعَلَى رَأْسِهِم جَعفَرُ بْنُ أَبِى طَالِبٍ ، فَسَأَلَهُم الْمَلِكُ : مَا الدِّينُ الَّذِى تَدِينُونَ بِهِ ؟ وَمَا السَّبَبُ فِى هٰذَا النِّزَاعِ

الَّذِى بَينَكُمْ وَبَينَ مُوَاطِنِيكُم ؟ فَقَالَ جَعفَرٌ :
أَيُّهَا الْمَلِكُ ، لَقَد كُنَّا شَعبًا جَاهِلاً نَعبُدُ
الْأَصنَامَ ، وَنَقتُلُ أَولاَدَنَا خوفًا مِنَ الْفَقرِ ،
وَنَتَقَاتَلُ لِأَتْفَهِ الْأَسبابِ ، وَنَشْرَبُ الْخَمْرَ ،
وَنُسِيءُ مُعَامَلَةَ الْجِيرَانِ ، وَلَم نَقُمْ بِوَاجِبِنَا
نَحوَ أَقَارِبِنَا ، وَيَتَحَكَّمُ الْقَوِىُّ مِنَّا فِى
الضَّعِيفِ ، وَالغَنِىُّ فِى الفَقِيرِ ، وَانتَشَرَتِ
الرَّذِيلَةُ ، وَنُسِيَتِ الْفَضِيلَةُ ، وَكَثُرَتِ
الْمَظَالِمُ ، وَسَاءَتِ الْأَحوالُ ، فَأَرسَلَ اللهُ
إِلَينَا رَسُولاً مِنَّا ؛ لِتَطهِيرِ مُجتَمَعِنَا الْفَاسِدِ
وَإِصلاَحِهِ . فَدَعَانَا إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحدَهُ ،

وَتَرْكِ عِبَادَةِ الْأَصنامِ ، وَإِزَالَةِ الْمَظَالِمِ ، وَالدِّفَاعِ عَنِ الْفَقِيرِ وَالْمِسكِينِ ، وَنَشْرِ الْعَدَالَةِ ، وَالْعَطْفِ عَلَى الْيَتِيمِ ، وَمُسَاعَدَةِ الْمُحتَاجِ ، وَزِيَارَةِ الْأَقَارِبِ وَالْإِحسَانِ إِلَيهِم ، وَمُرَاعَاةِ حُقُوقِ الْجَارِ ، وَالتَّمَسُّكِ بِالْفَضِيلَةِ كَالصِّدْقِ فِى الْقَولِ، وَالْأَمَانَةِ ، وَالْوَفَاءِ بِالْوَعدِ ، وَالإِخلاَصِ فِى الْعَمَلِ ، وَالْعَفْوِ عَنِ الْمُخطِئِ ، وَالتَّحَلِّى بِالصَّبرِ ، وَتَجَنُّبِ كُلِّ عَمَلٍ قَبِيحٍ ، كَالْكَذِبِ فِى الْحَدِيثِ ، وَالخِيَانَةِ ، وَعَدَمِ الْوَفَاءِ بِالْوَعْدِ ، وَالْإِهمَالِ وَالْغِشِّ فِى الْعَمَلِ ،



رَئِيسُ المُسلمينَ يُبيِّنُ لِمَلِكِ الحَبَشَةِ مَبادِئَ الإِسلامِ

وَشُرْبِ الْخَمْرِ ، وَالرِّبَا ، وَقتلِ الْبنَاتِ خَوْفًا مِنَ الْعَارِ ، وَقَتْلِ النَّفسِ بِغَيرِ حَقٍّ . وَقد عُرِفَ الرَّسُولُ بيننَا جَمِيعًا بِشَرَفِ الْأَصلِ ، وَالتَّحلِّى بِكُلِّ الأَخلاقِ الكَامِلَةِ ، حَتَّى سَمَّينَاهُ قبلَ الرِّسَالَةِ (الْأَمِينَ) . ولِهٰذا آمَنَّا بِهِ وَصدَّقنَاهُ ، وَاتَّبعنَا الْمَبادِئَ الَّتِى نَادَى بِهَا ، وَتَرَكْنَا عِبادَةَ الْأَصنَامِ ، وَعَبَدْنا اللهَ وَحْدَهُ الْخَالِقَ لِهٰذَا الْعَالَمِ ، الْقَادِرَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ . فَاعتَدى عَلَينَا قومُنَا ، وَعَذَّبُونَا ، وَظَلَمُونَا ، وَحَالُوا بَيننَا وَبَيْنَ دِينِنَا ، وَظَنُّوا أَنَّنَا سَنَتْرُكُ الدِّينَ الَّذِى اختَرْنَاهُ لِأَنفُسِنَا ،

وَنعُودُ إِلَى عِبَادَةِ الْحِجَارَةِ والْأَصنَامِ . فَلَمَّا اشتَدَّ تَعذِيبُهُم لَنَا ، وَزَادَتْ قَسْوَتُهُم عَلَى الْحَدِّ الَّذِى لاَ يُطَاقُ — تَرَكْنَا وَطَنَنَا الْعَزِيزَ ، وَخَرَجْنَا قَاصِدِينَ بِلاَدَكَ ، وَاختَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ ، وَرَغِبنَا فِى جِوَارِكَ ، لِنَتَمَتَّعَ بِعَدَالَتِكَ ، وَرَجَوْنَا أَلاَّ نُظلَمَ عِندَكَ .

تَأَثَّرَ النَّجَاشِىُّ مِمَّا سَمِعَهُ مِن جَعفَرِ بنِ أَبِى طَالِبٍ ، وَسَأَلَهُ : هَل عِندَكَ شَىْءٌ مِمَّا جَاءَ بِهِ مِن عِندِ اللهِ ؟ فَقَرَأَ أَمَامَهُ آيَاتٍ مِن سُورَةِ مَريَمَ . فَكَانَ لِمَا سَمِعَهُ المَلِكُ مِنَ الْقُرْآنِ أَثَرٌ كَبِيرٌ فِى قَلْبِهِ ، وَبَكَى ، وَقَالَ :

الْقُرْآنُ وَالْإِنجِيلُ يَخرُجَانِ مِن نُـورٍ وَاحِدٍ . ثُمَّ رَدَّ الْهَدَايَا لِلْقُرَشِيِّينِ ، وَأَمَـرَ الْكُفَّارَ بِالرُّجُوعِ إِلَى بِلاَدِهِم ، وَقَـالَ لِلْمُسلِمِينَ : اِذهَبُوا فَأَنْتُم آمِنُونَ بِأَرْضِى ، أَحرَارٌ فِى عِبَادَتِكُم .